تفسير سورة الرحمن

هى ست وسبعون آية . وهى مكية . قال القرطبى : كلها ، فى قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وجابر، قال : قال ابن عباس: إلا آية منها . وهى قوله : ﴿ **يسأله من فى السموات والأرض** ﴾ الآية . وقال ابن مسعود ومقاتل :هى مدنية كلها والأول أصح ، ويدل عليه ما أخرجه النحاس عن ابن عباس قال : نزلت سورة الرحمن بمكة . وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبيرقال : أنزل بمكة سورة الرحمن . وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت : نزلت سورة الرحمن : علم القرآن : بمكة . وأخرج أحمد وابن مردويه ، قال السيوطى : بسند حسن ، عن أسماء بنت أبى بكرقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ وهو يصلى نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون : ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ [١]. ويؤيد القول الثانى ما أخرجه ابن الضريس وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس قال : نزلت سورة الرحمن بالمدينة ، ويمكن الجمع بين القولين بأنه نزل بعضها بمكة وبعضها بالمدينة .

وأخرج الترمذى وابن المنذر، وأبو الشيخ فى العظمة ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أوّلها إلى آخرها فسكتوا ، فقال: « مالى أراكم سكوتا لقد قرأتها على الجنّ ليلة الجنّ ، فكانوا أحسن مردودا منكم ،كلما أتيت على قوله : ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ قالوا : لا شىء من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد » قال الترمذى بعد إخراجه : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد . وحكى عن الإمام أحمد أنه كان يستنكر روايته عن زهير . وقال البزار : لا نعرفه يروى إلا من هذا الوجه [٢] . وأخرجه البزار وابن جرير وابن المنذر ، والدارقطنى فى الإفراد ، وابن مردويه ، والخطيب فى تاريخه من حديث ابن عمر ، وصحح السيوطى إسناده ، وقال البزار : لا نعلمه يروى عن النبى ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد [٣] ، وأخرج البيهقى فى الشعب عن علىّ سمعت رسول الله ﷺ يقول « لكل شىء عروس ، وعروس القرآن الرحمن » [٤] .

---

(١) أحمد ٦ / ٣٤٩ وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ١٢٠ : « وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(٢) الترمذى فى التفسير (٣٢٩١) وصححه الحاكم ٢ / ٢٧٣ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى والبيهقى فى الدلائل ٢ / ٢٣٢ وفى الشعب (٢٢٦٤) ورجاله ثقات .

(٣) ابن جرير ٢٧ / ٧٢ وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ١٢٠ : « رواه البزار عن شيخه عمرو بن مالك الراسبى وثقه ابن حبان وضعفه غيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح » والخطيب فى تاريخه ٤ / ٣٠١ .

(٤) البيهقى فى الشعب (٢٢٦٥) وإسناده ضعيف لضعف على بن الحسين بن جعفر ، وأحمد بن الحسن بن على بن الحسين .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩) وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (١٥) فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلاَمِ (٢٤) فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) ﴾

قوله : ﴿ **الرحمن علم القرآن** ﴾ ارتفاع الرحمن على أنه مبتدأ وما بعده من الأفعال أخبار له ، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوفًا ، أى الله الرحمن . قال الزجاج : معنى ﴿ **علم القرآن** ﴾ يسره . قال الكلبى : علم القرآن محمدًا وعلمه محمد أمته . وقيل : جعله علامة لما يعبد الناس به ، قيل : نزلت هذه الآية جوابًا لأهل مكة حين قالوا : ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ [النحل: ١٠٣] . وقيل : جوابا لقولهم : وما الرحمن ؟ ولما كانت هذه السورة لتعداد نعمه التى أنعم بها على عباده قدم النعمة التى هى أجلها قدرا ، وأكثرها نفعا ، وأتمها فائدة ، وأعظمها عائدة ، وهى نعمة تعليم القرآن ؛ فإنها مدار سعادة الدارين ، وقطب رحى الخيرين ، وعماد الأمرين . ثم امتن بعد هذه النعمة بنعمة الخلق التى هى مناط كل الأمور ومرجع جميع الأشياء فقال : ﴿ **خلق الإنسان** ﴾ ثم امتن ثالثا بتعليمه البيان الذى يكون به التفاهم ويدور عليه التخاطب ، وتتوقف عليه مصالح المعاش والمعاد ؛ لأنه لا يمكن إبراز ما فى الضمائر ولا إظهار ما يدور فى الخلد إلا به . قال قتادة والحسن : المراد بالإنسان آدم ، والمراد بالبيان : أسماء كلّ شىء . وقيل المراد به : اللغات . وقال ابن كيسان : المراد بالإنسان ها هنا : محمد ﷺ ، وبالبيان : بيان الحلال من الحرام ، والهدى من الضلال ، وهو بعيد . وقال الضحاك : البيان: الخير والشرّ . وقال الربيع بن أنس : هو ما ينفعه وما يضره. وقيل البيان : الكتابة بالقلم . والأولى حمل الإنسان على الجنس ، وحمل البيان على تعليم كلّ قوم لسانهم الذى يتكلمون به. ﴿ **الشمس والقمر بحسبان** ﴾ أى يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها ، ويدلان بذلك على عدد الشهور والسنين . قال قتادة وأبو مالك : يجريان بحسبان فى منازل لا يعدوانها

ولا يحيدان عنها. وقال ابن زيد وابن كيسان : يعنى أن بهما تحسب الأوقات والآجال والأعمار، ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب ؛ لأن الدهر يكون كله ليلا أو نهارا . وقال الضحاك : معنى ﴿ **بحسبان** ﴾ : بقدر ، وقال مجاهد : بحسبان كحسبان الرحى ، يعنى: قطبهما الذى يدوران عليه . قال الأخفش : الحسبان جماعة الحساب ، مثل شهب وشهبان ، وأما الحسبان بالضمّ فهو العذاب كما مضى فى سورة الكهف . ﴿ **والنجم والشجر يسجدان** ﴾ النجم: ما لا ساق له من النبات ، والشجر ما له ساق ، قال الشاعر :

لقد أنجم القاع الكثير عضاهه وتمّ بـه حيـا تميـم ووائـل

وقال زهير :

مكلل بأصول النجم تنسجه ريح الجنوب لضاحى مائه حبك

والمراد بسجودهما: انقيادهما لله تعالى انقياد الساجدين من المكلفين. وقال الفراء: سجودهما أنهما يستقبلان الشمس إذا طلعت، ثم يميلان معها حين ينكسر الفيء . وقال الزجاج: سجودهما دوران الظل معهما ، كما فى قوله : ﴿يتفيؤ ظلاله ﴾ [النحل : ٤٨] وقال الحسن ومجاهد : المراد بالنجم : نجم السماء ، وسجوده : طلوعه ، ورجح هذا ابن جرير. وقيل : سجوده : أفوله ، وسجود الشجر : تمكينها من الاجتناء لثمارها . قال النحاس : أصل السجود الاستسلام والانقياد لله ، وهذه الجملة والتى قبلها خبران آخران للرحمن ، وترك الرابط فيهما لظهوره ، كأنه قيل : الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له . ﴿**والسماء رفعها** ﴾ قرأ الجمهور بنصب السماء على الاشتغال ، وقرأ أبو السمال بالرفع على الابتداء ، والمعنى : أنه جعل السماء مرفوعة فوق الأرض ﴿ **ووضع الميزان** ﴾ المراد بالميزان : العدل ، أى وضع فى الأرض العدل الذى أمر به ، كذا قال مجاهد وقتادة والسدّى وغيرهم . قال الزجاج : المعنى : أنه أمرنا بالعدل ويدل عليه قوله : ﴿ **ألا تطغوا فى الميزان** ﴾ أى لا تجاوزوا العدل. وقال الحسن والضحاك: المراد به: آلة الوزن ليتوصل بها إلى الإنصاف والانتصاف. وقيل: الميزان: القرآن لأن فيه بيان ما يحتاج إليه، وبه قال الحسين بن الفضل، والأوّل أولى .

ثم أمر سبحانه بإقامة العدل بعد إخباره للعباد بأنه وضعه لهم فقال : ﴿ **وأقيموا الوزن بالقسط** ﴾ أى قوّموا وزنكم بالعدل . وقيل : المعنى : أقيموا لسان الميزان بالعدل . وقيل : المعنى : أنه وضع الميزان فى الآخرة لوزن الأعمال . و « أن » فى قوله : ﴿ **ألا تطغوا** ﴾ مصدرية ، أى لئلا تطغوا ، و « لا » نافية ، أى وضع الميزان لئلا تطغوا ، وقيل: هى مفسرة؛ لأن فى الوضع معنى القول ، والطغيان : مجاوزة الحد ، فمن قال : الميزان : العدل، قال : طغيانه الجور ، ومن قال : الميزان : الآلة التى يوزن بها ، قال : طغيانه: البخس ﴿ **ولا تخسروا الميزان** ﴾ أى لا تنقصوه ، أمر سبحانه أوّلا بالتسوية ، ثم نهى عن الطغيان الذى هو المجاوزة للحد بالزيادة ، ثم نهى عن الخسران الذى هو النقص والبخس . قرأ الجمهور :

﴿**تخسروا**﴾ بضم التاء وكسر السين من أخسر ، وقرأ بلال بن أبى برزة وأبان بن عثمان وزيد بن على بفتح التاء والسين من خسر ، وهما لغتان : يقال : أخسرت الميزان وخسرته .

ثم لما ذكر سبحانه أنه رفع السماء ذكر أنه وضع الأرض فقال : ﴿ **والأرض وضعها للأنام**﴾ أى بسطها على الماء لجميع الخلق مما له روح وحياة ، ولا وجه لتخصيص الأنام بالإنس والجنّ . قرأ الجمهور بنصب ﴿**الأرض**﴾ على الاشتغال ، وقرأ أبو السمال بالرفع على الابتداء وجملة : ﴿ **فيها فاكهة** ﴾ فى محل نصب على أنها حال من الأرض مقدّرة . وقيل : مستأنفة لتقرير مضمون الجملة التى قبلها ، والمراد بها كل ما يتفكه به من أنواع الثمار . ثم أفرد سبحانه النخل بالذكر لشرفه ومزيد فائدته على سائر الفواكه فقال : ﴿ **والنخل ذات الأكمام** ﴾ الأكمام جمع كم بالكسر ، وهو وعاء الثمر . قال الجوهرى : والكم بالكسر ، والكمامة : وعاء الطلع وغطاء الثنور ، والجمع كمام وأكمة وأكمام . قال الحسن : ذات الأكمام، أى ذات الليف ، فإن النخلة تكم بالليف وكمامها ليفها ، وقال ابن زيد : ذات الطلع قبل أن يتفتق ، وقال عكرمة : ذات الأحمال . ﴿ **والحبّ ذو العصف والريحان** ﴾ الحبّ: هو جميع ما يقتات من الحبوب والعصف. قال السدّى والفراء : هو بقل الزرع ، وهو أوّل ما ينبت به . قال ابن كيسان : يبدو أولاً ورقا ، وهو العصف ، ثم يبدو له ساق ، ثم يحدث الله فيه أكماما ، ثم يحدث فى الأكمام الحب . قال الفراء : والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع إذا قطعوا منه قبل أن يدرك ، وكذا قال فى الصحاح . وقال الحسن : العَصْفُ : التبن ، وقال مجاهد : هو ورق الشجر والزرع . وقيل : هو ورق الزرع الأخضر إذا قطع رأسه ويبس ، ومنه قوله : ﴿ **كعصف مأكول** ﴾ [الفيل : ٥] وقيل : هو الزرع الكثير ، يقال : قد أعصف الزرع ومكان معصف ، أى كثير الزرع ، ومنه قول أبى قيس بن الأسلت :

إذا جمادى منعت قطرها زان جنابى عطن معصف

والريحان : الورق فى قول الأكثر . وقال الحسن وقتادة والضحاك وابن زيد : إنه الريحان الذى يشم ، وقال سعيد بن جبير : هو ما قام على ساق ، وقال الكلبى : إن العصف : هو الورق الذى لا يؤكل ، والريحان : هو الحب المأكول ، وقال الفراء أيضا : العصف : المأكول من الزرع ، والريحان : ما لا يؤكل ، وقيل : الريحان : كل بقلة طيبة الريح . قال ابن الأعرابى ؛ يقال: شىء ريحانى وروحانى ، أى له روح : وقال فى الصحاح : الريحان : نبت معروف ، والريحان : الرزق، تقول : خرجت أبتغى ريحان الله . قال النمر بن تولب :

سلام الإله وريحانه ورحمته وسماء درر

وقيل العصف : رزق البهائم ، والريحان : رزق الناس ، قرأ الجمهور : ﴿ **والحبّ ذو العصف والريحان** ﴾ برفع الثلاثة عطفا على فاكهة . وقرأ ابن عامر وأبو حيوة والمغيرة بنصبهما عطفا على إضمار الأرض أو على فعل ، أى وخلق الحبّ ذا العصف والريحان وقرأ حمزة

والكسائى والريحان بالجرّ عطفا على العصف . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ الخطاب للجنّ والإنس ، لأن لفظ الأنام يعمهما وغيرهما ، ثم خصص بهذا الخطاب من يعقل ، وبهذا قال الجمهور من المفسرين : ويدلّ عليه قوله فيما سيأتى ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ [الرحمن: ٣١] ويدلّ على هذا ما قدّمنا فى فاتحة هذه السورة أن النبى ﷺ قرأها على الجنّ والإنس . وقيل : الخطاب للإنس ، وثناه على قاعدة العرب فى خطاب الواحد بلفظ التثنية كما قدّمنا فى قوله : ﴿ ألقيا فى جهنم ﴾ [ق : ٢٤] والآلاء : النعم. قال القرطبى : وهو قول جميع المفسرين، واحدها « إلى » مثل معى وعصى ، وقال ابن زيد : إنها القدرة ، أى فبأى قدرة ربكما تكذبان ، وبه قال الكلبى ، وكررّ سبحانه هذه الآية فى هذه السورة تقريراً للنعمة وتأكيداً للتذكير بها على عادة العرب فى الاتساع . قال القتيبى : إن الله عدّد فى هذه السورة نعماءه ، وذكر خلقه آلاءه ، ثم أتبع كل خلة وضعها بهذه الآية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقررّهم بها كما تقول لمن تتابع له إحسانك ، وهو يكفره : ألم تكن فقيرا فأغنيتك ؟ أفتنكر هذا ؟ ألم تكن خاملا فعززتك ؟ أفتنكر هذا ؟ ألم تكن راجلا فحملتك ؟ أفتنكر هذا ؟ والتكرير حسن فى مثل هذا ، ومنه قول الشاعر :

لا تقتلنى رجلا إن كنت مسلمة إياك من دمه إياك إياك

قال الحسين بن الفضل : التكرير طرد للغفلة وتأكيد للحجة ﴿ **خلق الإنسان من صلصال كالفخار** ﴾ لما ذكر سبحانه خلق العالم الكبير ، وهو السماء والأرض وما فيهما ، ذكر خلق العالم الصغير ، والمراد بالإنسان هنا : آدم . قال القرطبى : باتفاق من أهل التأويل ، ولا يبعد أن يراد الجنس لأن بنى آدم مخلوقون فى ضمن خلق أبيهم آدم ، والصلصال : الطين اليابس الذى يسمع له صلصلة . وقيل : هو طين خلط برمل . وقيل : هو الطين المنتن ، يقال : صلّ اللحم وأصلّ إذا أنتن ، وقد تقدم بيانه فى سورة الحجر، والفخار : الخزف الذى طبخ بالنار ، والمعنى : أنه خلق الإنسان من طين يشبه فى يبسه الخزف .﴿ **وخلق الجانّ من مارج من نار** ﴾ يعنى :خلق أبا الجنّ أو جنس الجنّ من مارج من نار ، والمارج : اللهب الصافى من النار . وقيل: الخالص منها . وقيل : لسانها الذى يكون فى طرفها إذا التهبت ، وقال الليث : المارج : الشعلة الصادعة ذات اللهب الشديد . قال المبرد : المارج : النار المرسلة التى لا تمنع ، وقال أبو عبيدة : المارج : خلط النار ، من مرج إذا اختلط واضطرب . قال الجوهرى : مارج من نار: نار لا دخان لها خلق منها الجانّ ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإنه أنعم عليكما فى تضاعيف خلقكما من ذلك بنعم لا تحصى .

﴿ **رب المشرقين وربّ المغربين** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **ربّ** ﴾ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى هو ربّ المشرقين والمغربين . وقيل : مبتدأ وخبره : ﴿ **مرج البحرين** ﴾ وما بينهما اعتراض ، والأول أولى ، والمراد بالمشرقين: مشرقا الشتاء والصيف ، وبالمغربين مغرباهما . ﴿**فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن فى ذلك من النعم ما لا يحصى ولا يتيسر لمن

أنصف من نفسه تكذيب فرد من أفراده . ﴿ **مرج البحرين يلتقيان** ﴾ المرج : التخلية والإرسال ، يقال : مرجت الدابة : إذا أرسلتها ، وأصله الإهمال كما تمرج الدابة فى المرعى ، والمعنى: أنه أرسل كل واحد منهما ﴿ **يلتقيان** ﴾ أى يتجاوران لا فصل بينهما فى مرأى العين ، ومع ذلك فلم يختلطا ، ولهذا قال : ﴿**بينهما برزخ** ﴾ أى حاجز يحجز بينهما ﴿ **لا يبغيان** ﴾ أى لا يبغى أحدهما على الآخر بأن يدخل فيه ويختلط به . قال الحسن وقتادة : هما بحر فارس والروم، وقال ابن جريج : هما البحر المالح والأنهار العذبة ، وقيل : بحر المشرق والمغرب . وقيل : بحر اللؤلؤ والمرجان . وقيل : بحر السماء وبحر الأرض . قال سعيد بن جبير : يلتقيان فى كل عام . وقيل : يلتقى طرفاهما ، وقوله : ﴿ **يلتقيان** ﴾ فى محلّ نصب على الحال من البحرين ، وجملة : ﴿ **بينهما برزخ** ﴾ يجوز أن تكون مستأنفة ، وأن تكون حالا . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن هذه الآية وأمثالها لا يتيسر تكذيبها بحال ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **يخرج** ﴾ بفتح الياء وضم الراء مبنيا للفاعل، وقرأ نافع وأبو عمرو بضم الياء وفتح الراء مبنيا للمفعول ، واللؤلؤ: الدّر ، والمرجان : الخرز الأحمر المعروف. وقال الفراء : اللؤلؤ العظام ، والمرجان : ما صغر . قال الواحدى : وهو قول جميع أهل اللغة. وقال مقاتل والسدّى ومجاهد : اللؤلؤ: صغاره ، والمرجان :كباره ، وقال : ﴿ **يخرج منهما** ﴾ وإنما يخرج ذلك من المالح لا من العذب ؛ لأنه إذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما ، كذا قال الزجاج وغيره ، وقال أبو على الفارسى : هو من باب حذف المضاف، أى من أحدهما لقوله: ﴿ **على رجل من القريتين عظيم** ﴾ [الزخرف : ٣١] وقال الأخفش: زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ من العذب ، وقيل : هما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ، ومن الآخر المرجان. وقيل : هما بحر السماء وبحر الأرض ، فإذا وقع ماء السماء فى صدف البحر انعقد لؤلؤا فصار خارجا منهما . ﴿**فبأى آلاء ربكما تكذبّان**﴾ فإن فى ذلك من الآيات ما لا يستطيع أحد تكذيبه ولا يقدر على إنكاره .

﴿ **وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام** ﴾ المراد بالجوار : السفن الجارية فى البحر ، والمنشآت : المرفوعات التى رفع بعض خشبها على بعض وركب حتى ارتفعت وطالت حتى صارت فى البحر كالأعلام وهى الجبال، والعلم: الجبل الطويل. وقال قتادة: المنشآت: المخلوقات للجرى ، وقال الأخفش : المنشآت : المجريات ، وقد مضى بيان الكلام فى هذا فى سورة الشورى . قرأ الجمهور : ﴿ **الجوار** ﴾ بكسر الراء وحذف الياء ، لالتقاء الساكنين ، وقرأ ابن مسعود والحسن وأبو عمرو فى رواية عنه برفع الراء تناسيا للحذف ، وقرأ يعقوب بإثبات الياء، وقرأ الجمهور: ﴿ **المنشآت** ﴾ بفتح الشين ، وقرأ حمزة وأبو بكر فى رواية عنه بكسر الشين. ﴿**فبأى آلاء ربكما تكذبان**﴾ فإن ذلك من الوضوح والظهور بحيث لا يمكن تكذيبه ولا إنكاره .

وقد أخرج الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه عن ابن عباس فى قوله :﴿**الشمس والقمر بحسبان**﴾ قال : بحساب ومنازل يرسلان . وأخرج

الفريابى وابن أبى حاتم عنه : ﴿ **والأرض وضعها للأنام** ﴾ قال : للناس . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا قال : للخلق . وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال : كل شىء فيه روح . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا: ﴿**والنخل ذات الأكمام** ﴾ قال : أوعية الطلع . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه أيضا فى قوله : ﴿ **والحب ذو العصف** ﴾ قال : التبن ﴿ **والريحان** ﴾ قال : خضرة الزرع . وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال : ﴿ **العصف**﴾ ورق الزرع إذا يبس ﴿ **والريحان** ﴾ ما أنبتت الأرض من الريحان الذى يشمّ . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا قال : ﴿ **العصف** ﴾ الزرع أوّل ما يخرج بقلا ﴿**والرّيحان** ﴾ حين يستوى على سوقه ولم يسنبل . وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال : كلّ ريحان فى القرآن فهو رزق . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا : ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ قال : يعنى : بأىّ نعمة الله . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه أيضا فى الآية قال : يعنى : الجنّ والإنس . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عنه أيضا ﴿ **من مارج من نار** ﴾ قال : من لهب النار . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا فى الآية قال : خالص النار .

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا فى قوله : ﴿ **ربّ المشرقين وربّ المغربين** ﴾ قال : للشمس مطلع فى الشتاء ، ومغرب فى الشتاء ، ومطلع فى الصيف ، ومغرب فى الصيف ، غير مطلعها فى الشتاء وغير مغربها فى الشتاء . وأخرج ابن أبى حاتم عنه فى الآية قال : مشرق الفجر ومشرق الشفق . ومغرب الشمس ومغرب الشفق . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا فى قوله : ﴿ **مرج البحرين يلتقيان**﴾ قال : أرسل البحرين ﴿ **بينهما برزخ** ﴾ قال حاجز ﴿ **لا يبغيان** ﴾ لا يختلطان. وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال: بحر السماء وبحر الأرض . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا ﴿**بينهما برزخ لا يبغيان** ﴾ قال : بينهما من البعد مالا يبغى كل واحد منهما على صاحبه . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضًا فى قوله : ﴿ **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾ قال : إذا مطرت السماء فتحت الأصداف فى البحر أفواهها فما وقع فيها من قطر السماء فهو اللؤلؤ . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن علىّ بن أبى طالب قال : المرجان : عظيم اللؤلؤ . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: اللؤلؤ : ما عظم منه ، والمرجان : اللؤلؤ الصغار . وأخرج عبد الرزاق والفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبرانى عن ابن مسعود قال : المرجان : الخرز الأحمر .

﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ**

وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥)﴾

قوله : ﴿ **كل من عليها فان** ﴾ أى كل من على الأرض من الحيوانات هالك ، وغلب العقلاء على غيرهم فعبر عن الجميع بلفظ من . وقيل : أراد من عليها من الجنّ والإنس ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ الوجه عبارة عن ذاته سبحانه ووجوده ، وقد تقدّم فى سورة البقرة بيان معنى هذا . وقيل : معنى ﴿ **يبقى وجه ربك** ﴾ تبقى حجته التى يتقرّب بها إليه ، والجلال : العظمة والكبرياء ، واستحقاق صفات المدح . يقال : جلّ الشأن ، أى عظم ، وأجللته ، أى أعظمته ، وهو اسم من جلّ . ومعنى : ذو الإكرام : إنه يكرم عن كل شىء لا يليق به . وقيل : إنه ذو الإكرام لأوليائه ، والخطاب فى قوله : ﴿ **ربك** ﴾ للنبى ﷺ ، أو لكل من يصلح له . قرأ الجمهور : ﴿ **ذو الجلال** ﴾ على أنه صفة لوجه ، وقرأ أبى وابن مسعود: « ذى الجلال » على أنه صفة لربّ . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ وجه النعمة فى فناء الخلق، أن الموت سبب النقلة إلى دار الجزاء والثواب . وقال مقاتل : وجه النعمة فى فناء الخلق ، التسوية بينهم فى الموت ، ومع الموت تستوى الأقدام .

﴿ **يسأله من فى السموات والأرض** ﴾ أى يسألونه جميعًا ، لأنهم محتاجون إليه لا يستغنى عنه أحد منهم. قال أبوصالح : يسأله أهل السموات المغفرة ولا يسألونه الرزق ، وأهل الأرض يسألونه الأمرين جميعًا ، وقال مقاتل : يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة ، وتسأل لهم الملائكة أيضا الرزق والمغفرة ، وكذا قال ابن جريج . وقيل : يسألونه الرحمة . قال قتادة: لا يستغنى عنه أهل السماء ولا أهل الأرض ، والحاصل أنه يسأله كل مخلوق من مخلوقاته بلسان المقال ، أو لسان الحال ، ما يطلبونه من خيرى الدارين ، أو من خيرى إحداهما ﴿ **كل يوم هو فى شأن**﴾ انتصاب كل بالاستقرار الذى تضمنه الخبر ، والتقدير : استقرّ سبحانه فى شأن كل وقت من الأوقات، واليوم عبارة عن الوقت ، والشأن هو الأمر ، ومن جملة شؤونه سبحانه إعطاء أهل السموات والأرض ما يطلبونه منه على اختلاف حاجاتهم وتباين أغراضهم ، قال المفسرون: من شأنه أنه يحيى ويميت ، ويرزق ويفقر ، ويعز ويذلّ ، ويمرض ويشفى ،

ويعطى ويمنع ، ويغفر ويعاقب إلى غير ذلك مما لا يحصى ، وقيل : المراد باليوم المذكور : هو يوم الدنيا ويوم الآخرة، قال ابن بحر : الدّهر كله يومان : أحدهما : مدّة أيام الدنيا ، والآخر : يوم القيامة . وقيل : المراد : كل يوم من أيام الدنيا ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن اختلاف شؤونه سبحانه فى تدبير عباده نعمة لا يمكن جحدها ، ولا يتيسر لمكذّب تكذيبها . ﴿ **سنفرغ لكم أيها الثقلان**﴾ هذا وعيد شديد من الله سبحانه للجنّ والإنس . قال الزجاج والكسائى وابن الأعرابى وأبو على الفارسى : إن الفراغ ها هنا ليس هو الفراغ من شغل ، ولكن تأويله القصد ، أى سنقصد لحسابكم . قال الواحدى حاكيا عن المفسرين : إن هذا تهديد منه سبحانه لعباده ، ومن هذا قول القائل لمن يريد تهديده : إذن أتفرغ لك ، أى أقصد قصدك ، وفرغ يجىء بمعنى قصد ، وأنشد ابن الأنبارى قول الشاعر [١] :

ألان وَقَدْ فَرَغْتُ إلى نُمَيرٍ فهذا حينَ كُنْتُ له عَذَابا

يريد : وقد قصدت . وأنشد النحاس قول الشاعر [٢] :

فرغت إلى العبد المقيد فى الحجل

أى قصدت . وقيل : إن الله سبحانه وعد على التقوى وأوعد على المعصية ، ثم قال : سنفرغ لكم مما وعدناكم ونوصل كلا إلى ما وعدناه ، وبه قال الحسن ومقاتل وابن زيد ، ويكون الكلام على طريق التمثيل . قرأ الجمهور : ﴿**سنفرغ** ﴾ بالنون وضم الراء ، وقرأ حمزة والكسائى بالتحتية مفتوحة مع ضم الرّاء ، أى سيفرغ الله. وقرأ الأعرج بالنون مع فتح الراء . قال الكسائى : هى لغة تميم ، وقرأ عيسى الثقفى بكسر النون وفتح الراء ، وقرأ الأعمش وإبراهيم بضم الياء وفتح الراء على البناء للمفعول ، وسمى الجن والإنس ثقلين ، لعظم شأنهما بالنسبة إلى ، غيرهما من حيوانات الأرض . وقيل: سموا بذلك لأنهم ثقل على الأرض أحياء وأمواتا كما فى قوله : ﴿وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ [الزلزلة : ٢] وقال جعفر الصادق : سميا ثقلين ، لأنهما مثقلان بالذنوب . وجمع فى قوله: ﴿ **لكم** ﴾ ثم قال : ﴿ **أيها الثقلان**﴾ لأنهما فريقان ، وكل فريق جمع ، قرأ الجمهور : ﴿ **أيها الثقلان** ﴾ بفتح الهاء . وقرأ أهل الشام بضمها . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن من جملتها ما فى هذا التهديد من النعم ، فمن ذلك أنه ينزجر به المسىء عن إساءته ، ويزداد به المحسن إحسانا فيكون ذلك سببا للفوز بنعيم الدار الآخرة الذى هو النعيم فى الحقيقة .

﴿ **يا معشر الجنّ والإنس** ﴾ قدّم الجن هنا لكون خلق أبيهم متقدما على خلق آدم ، ولوجود جنسهم قبل جنس الإنس ﴿ **إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض** ﴾ أى إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض ونواحيها هربا من قضاء الله وقدره ﴿**فانفذوا**﴾

(١ ، ٢) الشاعر : هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفى .

منها وخلصوا أنفسكم ، يقال : نفذ الشيء من الشيء : إذا خلص منه كما يخلص السهم ﴿ **لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾ أى لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة وقهر ، ولا قوّة لكم على ذلك ولا قدرة، والسلطان : القوّة التى يتسلط بها صاحبها على الأمر . والأمر بالنفوذ : أمر تعجيز . قال الضحاك : بينما الناس فى أسواقهم إذا انفتحت السماء ونزلت الملائكة فهرب الجنّ والإنس فتحدق بهم الملائكة ، فذلك قوله : ﴿ **لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾ قال ابن المبارك : إن ذلك يكون فى الآخرة ، وقال الضحاك أيضا : معنى الآية : إن استطعتم أن تهربوا من الموت فاهربوا . وقيل : إن استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والأرض فاعلموه ، ولن تعلموه إلا بسلطان ، أى ببينة من الله، وقال قتادة : معناها لا تنفذوا إلا بملك وليس لكم ملك . وقيل : « الباء » بمعنى « إلى » ، أى لا تنفذون إلا إلى سلطان. ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ ومن جملتها هذه النعمة الحاصلة بالتحذير والتهديد ، فإنها تزيد المحسن إحسانا ، وتكف المسيء عن إساءته ، مع أن من حذّركم وأنذركم قادر على الإيقاع بكم من دون مهلة . ﴿ **يرسل عليكما شواظ من نار** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **يرسل** ﴾ بالتحتية مبنيا للمفعول ، وقرأ زيد بن علىّ بالنون ونصب « **شواظ** » والشواظ : اللهب الذى لا دخان معه ، وقال مجاهد : الشواظ : اللهب الأخضر المتقطع من النار . وقال الضحاك : هو الدخان الذى يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب ، وقال الأخفش وأبو عمرو : هو النار والدخان جميعا . قرأ الجمهور : ﴿ **شواظ** ﴾ بضم الشين ، وقرأ ابن كثير بكسرها وهما لغتان ، وقرأ الجمهور: ﴿ **ونحاس** ﴾ بالرفع عطفا على شواظ ، وقرأ ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وأبو عمرو بخفضه عطفا على نار ، وقرأ الجمهور :﴿ **نحاس** ﴾ بضم النون ، وقرأ مجاهد وعكرمة وحميد وأبو العالية بكسرها ، وقرأ مسلم بن جندب والحسن : «ونحس » والنحاس : الصفر المذاب يصب على رؤوسهم ، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما ، وقال سعيد بن جبير : هو الدخان الذى لا لهب له ، وبه قال الخليل ، وقال الضحاك : هو دردىّ الزيت المغلى ، وقال الكسائى : هو النار التى لها ريح شديدة . وقيل : هو المهل ﴿**فلا تنتصران** ﴾ أى لا تقدران على الامتناع من عذاب الله ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن من جملتها هذا الوعيد الذى يكون به الانزجار عن الشر والرغوب فى الخير .

﴿ **فإذا انشقت السماء** ﴾ أى انصدعت بنزول الملائكة يوم القيامة ﴿ **فكانت وردة كالدهّان**﴾ أى كوردة حمراء . قال سعيد بن جبير وقتادة : المعنى : فكانت حمراء . وقيل : فكانت كلون الفرس الورد ، وهو الأبيض الذى يضرب إلى الحمرة أو الصفرة ، قال الفراء وأبو عبيدة : تصير السماء كالأديم لشدّة حرّ النار ، وقال الفراء أيضا : شبه تلوّن السماء بتلون الورد من الخيل ، وشبه الورد فى ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه ، والدهان جمع دهن ، وقيل : المعنى : تصير السماء فى حمرة الورد ، وجريان الدهن ، أى تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم وتصير مثل الدهن لذوبانها، وقيل: الدهان الجلد الأحمر، وقال

الحسن :﴿**كالدهان** ﴾ أى كصبيب الدهن . فإنك إذا صببته ترى فيه ألوانا . وقال زيد بن أسلم: إنها تصير كعصير الزيت . قال الزجاج : إنها اليوم خضراء وسيكون لها لون أحمر . قال الماوردى : وزعم المتقدّمون أن أصل لون السماء الحمرة ، وأنها لكثرة الحوائل وبعد المسافة ترى بهذا اللون الأزرق . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذّبان** ﴾ فإن من جملتها ما فى هذا التهديد والتخويف من حسن العاقبة بالإقبال على الخير والإعراض عن الشر. ﴿ **فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان** ﴾ أى يوم تشقق السماء، لا يسأل أحد من الإنس ولا من الجن عن ذنبه ، لأنهم يعرفون بسيماهم عند خروجهم من قبورهم ، والجمع بين هذه الآية وبين مثل قوله : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين ﴾ [الحجر : ٩٢] أن ما هنا يكون فى موقف والسؤال فى موقف آخر من موقف القيامة وقيل : إنهم لا يسألون هنا سؤال استفهام عن ذنوبهم ، لأن الله سبحانه قد أحصى الأعمال وحفظها على العباد ، ولكن يسألون سؤال توبيخ وتقريع ، ومثله هذه الآية قوله: ﴿ ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ [القصص : ٧٨] قال أبو العالية : المعنى : لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم ، وقيل : إن عدم السؤال هو عند البعث ، والسؤال هو فى موقف الحساب ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن من جملتها هذا الوعيد الشديد لكثرة ما يترتب عليه من الفوائد .

﴿ **يعرف المجرمون بسيماهم** ﴾ هذه الجملة جارية مجرى التعليل لعدم السؤال . السيما: العلامة . قال الحسن: سيماهم سواد الوجوه وزرقة الأعين ، كما فى قوله : ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ﴾ [طه : ١٠٢]وقال : ﴿ يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه ﴾ [آل عمران: ١٠٦] وقيل : سيماهم ما يعلوهم من الحزن والكآبة ﴿ **فيؤخذ بالنواصى والأقدام** ﴾ الجار والمجرور فى محل رفع على أنه النائب ، والنواصى : شعور مقدم الرؤوس. والمعنى : أنها تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصى ، وتلقيهم الملائكة فى النار . قال الضحاك : يجمع بين ناصيته وقدمه فى سلسلة من وراء ظهره . وقيل : تسحبهم الملائكة إلى النار ، تارة تأخذ بنواصيهم وتجرّهم على وجوههم ، وتارة تأخذ بأقدامهم وتجرّهم على رؤوسهم . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن من جملتها هذا الترهيب الشديد والوعيد البالغ الذى ترجف له القلوب وتضطرب لهوله الأحشاء . ﴿**هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون** ﴾ أى يقال لهم عند ذلك : هذه جهنم التى تشاهدونها وتنظرون إليها مع أنكم كنتم تكذبون بها وتقولون : إنها لا تكون ، والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر ، كأنه قيل : فماذا يقال لهم عند الأخذ بالنواصى والأقدام ؟ فقيل: يقال لهم : هذه جهنم ، تقريعًا لهم وتوبيخًا . ﴿ **يطوفون بينها** ﴾ أى بين جهنم فتحرقهم ﴿ **وبين حميم آن**﴾ فتصبّ على وجوههم ، والحميم :الماء الحار ، والآن : الذى قد انتهى حرّه وبلغ غايته ، كذا قال الفراء . قال الزجاج : أنى يأنى أنى فهو آن : إذا انتهى فى النضج والحرارة . ومنه قول النابغة الذبيانى :

وتخضب لحية غدرت وخانت بأحمر من نجيع الجوف آن

وقيل : هو واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار ، فيغمسون فيه . قال قتادة : يطوفون مرّة فى الحميم ، ومرّة بين الجحيم . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن من جملتها النعمة الحاصلة بهذا التخويف وما يحصل به من الترغيب فى الخير والترهيب عن الشرّ .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى العظمة ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ذو الجلال والإكرام** ﴾ قال : ذو الكبرياء والعظمة . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه : ﴿**يسأله من فى السموات** ﴾ قال : مسألة عباده إياه الرزق والموت والحياة كل يوم هو فى ذلك . وأخرج الحسن بن سفيان فى مسنده، والبزار وابن جرير والطبرانى ، وأبو الشيخ فى العظمة ، وابن منده وابن مردويه وأبو نعيم وابن عساكر عن عبد الله بن منيب قال : تلا علينا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **كل يوم هو فى شأن** ﴾ فقلنا : يا رسول الله ، وما ذلك الشأن ؟ قال : « أن يغفر ذنبا ، ويفرج كربا، ويرفع قوما ، ويضع آخرين » [١] . وأخرج البخارى فى تاريخه ، وابن ماجة وابن أبى عاصم والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن حبان والطبرانى ، وأبو الشيخ فى العظمة ، وابن مردويه وابن عساكر ، والبيهقى فى الشعب عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ فى الآية قال : «من شأنه أن يغفر ذنبًا ، ويفرج كربًا ، ويرفع قومًا ، ويضع آخرين » زاد البزار : «ويجيب داعيًا » وقد رواه البخارى تعليقا ، وجعله من كلام أبى الدرداء [٢] . وأخرج البزار عن ابن عمر عن النبى ﷺ فى الآية قال : « يغفر ذنبًا ، ويفرج كربًا » .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس فى قوله : ﴿**سنفرغ لكم أيها الثقلان** ﴾ قال : هذا وعيد من الله لعباده ، وليس بالله شغل ، وفى قوله : ﴿ **لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾ يقول : لا تخرجون من سلطانى . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿ **يرسل عليكما شواظ من نار**﴾ قال : لهب النار ﴿ **ونحاس** ﴾ قال : دخان النار . وأخرج ابن جرير عنه أيضا ونحاس : قال الصفر يعذبون به . وأخرج ابن أبى حاتم عنه ﴿ **فكانت وردة** ﴾ يقول حمراء ﴿ **كالدهان** ﴾ قال : هو الأديم الأحمر . وأخرج الفريابى وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضًا : ﴿**فكانت وردة كالدهان** ﴾ قال : مثل لون الفرس الورد . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضًا فى قوله : ﴿ **فيومئذ لا يسأل عنه ذنبه إنس ولا جان** ﴾ قال : لا يسألهم :هل عملتم كذا وكذا ؟ ، لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكن يقول لهم: لم عملتم كذا وكذا ؟. وأخرج

(١) ابن جرير ٢٧ / ٧٩ وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ١٢٠ : « رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والبزار ، وفيه من لم أعرفهم » .

(٢) البخارى تعليقا وموقوفا ٨ / ٦٢٠ وابن ماجة فى المقدمة (٢٠٢) وفى الزوائد : « إسناده حسن » وابن جرير ٢٧ / ٧٩ وابن حبان (٦٨٨) والبيهقى فى الشعب (١٠٦٦) وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ١٢٠، ١٢١ : « روى ابن ماجة إلى قوله ، ويجيب داعيا ، وفيه الوزير بن صبيح ولم أعرفه » .

ابن أبى حاتم وابن مردويه ، والبيهقى فى البعث والنشور عنه أيضًا فى قوله : ﴿فيؤخذ بالنواصى والأقدام﴾ قال : تأخذ الزبانية بناصيته وقدميه ويجمع فيكسر كما يكسر الحطب فى التنور. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضًا فى قوله : ﴿وبين حميم آن﴾ قال هو الذى انتهى حرّه .

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ (٧٨) ﴾

لما فرغ سبحانه من تعداد النعم الدنيوية على الثقلين ذكر نعمه الأخروية التى أنعم بها عليهم. فقال : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ مقامه سبحانه هو الموقف الذى يقف فيه العباد للحساب ، كما فى قوله : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ [المطففين : ٦] فالمقام مصدر بمعنى القيام . وقيل : المعنى خاف قيام ربه عليه ، وهو إشرافه على أحواله واطلاعه على أفعاله وأقواله كما فى قوله : ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ [الرعد: ٣٣] قال مجاهد والنخعى : هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه .

واختلف فى الجنتين ، فقال مقاتل : يعنى : جنة عدن ، وجنة النعيم . وقيل : إحداهما التى خلقت له والأخرى ورثها. وقيل : إحداهما منزله والأخرى منزل أزواجه . وقيل : إحداهما أسافل القصور والأخرى أعاليها. وقيل : جنة للخائف الإنسى ، وجنة للخائف الجنى. وقيل : جنة لفعل الطاعة وأخرى لترك المعصية . وقيل : جنة للعقيدة التى يعتقدها ،

والأخرى للعمل الذى يعمله . وقيل : جنة بالعمل وجنة بالتفضل . وقيل : جنة روحانية وجنة جسمانية. وقيل : جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته ، وقال الفرّاء : إنما هى جنة واحدة ، والتثنية لأجل موافقة الآى . قال النحاس : وهذا القول من أعظم الغلط على كتاب الله . فإن الله يقول : ﴿ **جنتان** ﴾ ويصفهما بقوله : ﴿ **فيهما** ﴾ إلخ . ﴿**فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن من جملتها هذه النعمة العظيمة ، وهى إعطاء الخائف من مقام ربه جنتين متصفتين بالصفات الجليلة العظيمة ﴿ **ذواتا أفنان** ﴾ هذه صفة للجنتان ، وما بينهما اعتراض ، والأفنان: الأغصان ، واحدها: فنن وهو الغصن المستقيم طولا ، وبهذا قال مجاهد وعكرمة وعطية وغيرهم ، وقال الزجاج : الأفنان : الألوان ، واحدها : فنّ ، وهو الضرب من كل شىء ، وبه قال عطاء وسعيد بن جبير ، وجمع عطاء بين القولين ، فقال ، فى كل غصن فنون من الفاكهة ، ومن إطلاق الفنن على الغصون قول النابغة :

دعـاء حمامـةٍ تَدْعـو هَدِيـلاً ... مُفَجَّعَـةٍ عـلى فَنَنٍ تُغَنـى

وقول الآخر :

ما هاجَ شُوْقَك مِن هَديل حَمامةٍ ... تَدْعو عَلَى فَنَنِ الغُصون حمَامَا

وقيل : معنى ﴿ **ذواتا أفنان** ﴾ ، ذواتا فضل وسعة على ما سواهما ، قاله قتادة . وقيل : الأفنان : ظلّ الأغصان على الحيطان ، روى هذا عن مجاهد وعكرمة . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن كل منها ليس بمحل للتكذيب ولا بموضع للإنكار. ﴿ **فيهما عينان تجريان** ﴾ هذا أيضا صفة أخرى لـ ﴿ **جنتان** ﴾ أى فى كل واحدة منهما عين جارية . قال الحسن : إحداهما السلسبيل والأخرى التسنيم . وقال عطية : إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين . وقيل : كل واحدة منهما مثل الدنيا أضعافا مضاعفة . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن من جملتها هذه النعمة الكائنة فى الجنة لأهل السعادة . ﴿ **فيهما من كل فاكهة زوجان** ﴾ هذا صفة ثالثة لجنتان ، والزوجان : الصنفان والنوعان ، والمعنى : إن فى الجنتين من كلّ نوع يتفكه به ضربين ،يستلذ بكل نوع من أنواعه . قيل : أحد الصنفين رطب والآخر يابس لا يقصر أحدهما عن الآخر فى الفضل والطيب ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن فى مجرد تعداد هذه النعم ووصفها فى هذا الكتاب العزيز من الترغيب إلى فعل الخير ، والترهيب عن فعل الشر ما لا يخفى على من يفهم ، وتلك نعمة عظمى ومنة كبرى ، فكيف بالتنعم به عند الوصول إليه . ﴿**متكئين على فرش بطائنها من إستبرق** ﴾ انتصاب ﴿ **متكئين** ﴾ على الحال من فاعل قوله : ﴿ **ولمن خاف** ﴾ وإنما جمع ؛حملا على معنى من . وقيل: عاملها محذوف، والتقدير : يتنعمون متكئين . وقيل : منصوب على المدح ، والفرش جمع فرش ، والبطائن : هى التى تحت الظهائر ، وهى جمع بطانة قال الزجاج : هى ما يلى الأرض ، والإستبرق : ما

غلظ من الديباج ، وإذا كانت البطائن من إستبرق فكيف تكون الظهائر ؟ قيل : لسعيد بن جبير: البطائن من إستبرق فما الظواهر ؟ قال : هذا بما قال الله فيه : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾ [السجدة : ١٧] قيل : إنما اقتصر على ذكر البطائن ، لأنه لم يكن أحد فى الأرض يعرف ما فى الظهائر . وقال الحسن : بطائنها من إستبرق وظهائرها من نور جامد ، وقال الحسن : البطائن هى الظهائر ، وبه قال الفراء : وقال : قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة؛ لأنّ كل واحد منهما يكون وجها ، والعرب تقول : هذا ظهر السماء ، وهذا بطن السماء لظاهرها الذى نراه ، وأنكر ابن قتيبة هذا ، وقال : لا يكون هذا إلا فى الوجهين المتساويين ﴿ **وجنى الجنتين دان** ﴾ مبتدأ وخبر ، والجنى : ما يجتنى من الثمار ، قيل : إن الشجرة تدنو حتى يجنيها من يريد جناها . ومنه قول الشاعر :

هذا جَنَاى وخِيَاره فيه ... إذْ كلُّ جانٍ يَدُهُ إلى فِيه

قرأ الجمهور ﴿ **فرش** ﴾ بضمتين ، وقرأ أبوحيوة بضمة وسكون ، وقرأ الجمهور : ﴿**جنى**﴾ بفتح الجيم ، وقرأ عيسى بن عمر بكسرها ، وقرأ عيسى أيضا بكسر النون على الإمالة . ﴿ **فبأىّ آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإنها كلها بموضع لا يتيسر لمكذب أن يكذب بشىء منها لما تشتمل عليه من الفوائد العاجلة والآجلة . ﴿ **فيهن قاصرات الطرف** ﴾ أى فى الجنتين المذكورتين . قال الزجاج : وإنما قال : ﴿ **فيهنّ** ﴾ لأنه عنى الجنتين وما أعدّ لصاحبهما فيهما من النعيم ، وقيل : ﴿**فيهنّ** ﴾ أى فى الفرش التى بطائنها من إستبرق ، ومعنى ﴿ **قاصرات الطرف** ﴾ أنهن يقصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ لا ينظرن إلى غيرهم ، وقد تقدم تفسير هذا فى سورة الصافات . ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾ قال الفراء : الطمث : الافتضاض وهو النكاح بالتَّدمية ، يقال : طمث الجارية : إذا افتضها . قال الواحدى : قال المفسرون : لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن قبلهم أحد . قال مقاتل : لأنهن خلقن فى الجنة ، والضمير فى ﴿ **قبلهم** ﴾ يعود إلى الأزواج المدلول عليه بقاصرات الطرف . وقيل : يعود إلى متكئين ، والجملة فى محل رفع صفة لقاصرات ؛ لأن إضافتها لفظية . وقيل : الطمث: المسّ ، أى لم يمسسهنّ . قاله أبو عمرو . وقال المبرد : أى لم يذللهنّ ، والطمث التذليل ، ومن استعمال الطمث فيما ذكره الفراء قول الفرزدق :

دفعن إلىَّ **لم** يُطْمَثْن قَبْلِى ... وهنّ أصَحّ مِنْ بيض النَّعام

قرأ الجمهور : ﴿ **يطمثهن** ﴾ بكسر الميم ، وقرأ الكسائى بضمها ، وقرأ الجحدرى وطلحة ابن مصرف بفتحها . وفى هذه الآية بل فى كثير من آيات هذه السورة دليل أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا بالله سبحانه وعملوا بفرائضه ، وانتهوا عن مناهيه . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن فى مجرّد هذا الترغيب فى هذه النعم نعمة جليلة ومنة عظيمة لأن به يحصل الحرص على الأعمال الصالحة والفرار من الأعمال الطالحة ، فكيف بالوصول إلى هذه النعم والتنعم بها فى

جنات النعيم بلا انقطاع ولا زوال . ﴿ **كأنهّن الياقوت والمرجان** ﴾ هذه صفة لقاصرات ، أو حال منهنّ ، شبههنّ سبحانه فى صفاء اللون مع حمرته بالياقوت والمرجان ، والياقوت :هو الحجر المعروف ، والمرجان قد قدمنا الكلام فيه فى هذه السورة على الخلاف فى كونه صغار الدر، أو الأحمر المعروف . قال الحسن :هنّ فى صفاء الياقوت وبياض المرجان ، وإنما خصّ المرجان على القول بأنه صغار الدرّ ، لأن صفاءها أشدّ من صفاء كبار الدرّ ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن نعمه كلها لا يتيسر تكذيب شىء منها كائنة ما كانت ، فكيف بهذه النعم الجليلة والمنن الجزيلة ؟. ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ هذه الجملة مقررّة لمضمون ما قبلها ، والمعنى ما جزاء من أحسن العمل فى الدنيا إلا الإحسان إليه فى الآخرة ، كذا قال ابن زيد وغيره ، قال عكرمة : هل جزاء من قال : لا إله إلا الله إلا الجنة ؟. وقال الصادق : هل جزاء من أحسنت إليه فى الأزل إلا حفظ الإحسان عليه فى الأبد ؟، قال الرازى : فى هذه الآية وجوه كثيرة حتى قيل : إن فى القرآن ثلاث آيات فى كل واحدة منها مائة قول : إحداها : قوله تعالى : ﴿ فاذكرونى أذكركم ﴾ [البقرة : ١٥٢]وثانيها: ﴿ وإن عدتم عدنا ﴾ [الإسراء : ٨]وثالثها : ﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ قال محمد بن الحنفية : هى للبرّ والفاجر ، البرّ فى الآخرة، والفاجر فى الدنيا . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن من جملتها الإحسان إليكم فى الدنيا والآخرة بالخلق والرزق والإرشاد إلى العمل الصالح ، والزجر عن العمل الذى لا يرضاه .

﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾ أى ومن دون تينك الجنتين الموصوفتين بالصفات المتقدمة جنتان أخريان لمن دون أصحاب الجنتين السابقتين من أهل الجنة . ومعنى ﴿ **من دونهما** ﴾ أى من أمامهما ومن قبلهما ، أى هما أقرب منهما وأدنى إلى العرش. وقيل : الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم ، والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى . قال ابن جريج : هى أربع جنات : جنتان منهما للسابقين المقرّبين ﴿ **فيهما من كل فاكهة زوجان** ﴾ ﴿ **وعينان تجريان** ﴾ وجنتان لأصحاب اليمين ﴿**فيهما فاكهة ونخل ورمان** ﴾ و﴿ **فيهما عينان نضاختان** ﴾ : قال ابن زيد : إن الأوليين من ذهب للمقربين ، والأخريين من ورق لأصحاب اليمين . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإنها كلها حق ونعم لا يمكن جحدها . ثم وصف سبحانه هاتين الجنتين الأخريين فقال : ﴿**مدهامتان**﴾ وما بينهما اعتراض . قال أبو عبيدة والزجاج : من خضرتهما قد اسودتّا من الرى، وكل ما علاه السواد ريا فهو مدهم . قال مجاهد : مسودّتان ، والدهمة فى اللغة : السواد ، يقال : فرس أدهم وبعير أدهم : إذا اشتدت ورقته حتى ذهب البياض الذى فيه . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن جميعها نعم ظاهرة واضحة لا تجحد ولا تنكر . ﴿**فيهما عينان نضاختان** ﴾ النضخ : فوران الماء من العين ، والمعنى : أن فى الجنتين المذكورتين عينين فوّارتين. قال أهل اللغة : والنضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء المهملة . قال الحسن ومجاهد : تنضخ على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور فى دور أهل الجنة كما ينضخ رش

المطر . وقال سعيد بن جبير : إنها تنضخ بأنواع الفاكهة والماء. ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإنها ليست بموضع للتكذيب ولا بمكان للجحد .

﴿ **فيهما فاكهة ونخل ورمان** ﴾ هذا من صفات الجنتين المذكورتين قريبا ، والنخل والرمان وإن كانا من الفاكهة لكنهما خصصا بالذكر لمزيد حسنهما وكثرة نفعهما بالنسبة إلى سائر الفواكه كما حكاه الزجاج والأزهرى وغيرهما . وقيل: إنما خصهما لكثرتهما فى أرض العرب . وقيل : خصهما لأن النخل فاكهة وطعام ، والرمان فاكهة ودواء ، وقد ذهب إلى أنهما من جملة الفاكهة جمهور أهل العلم ، ولم يخالف فى ذلك إلا أبو حنيفة ، وقد خالفه صاحباه أبو يوسف ومحمد. ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن من جملتها هذه النعم التى هى جنات النعيم ، ومجرد الحكاية لها أثر فى نفوس السامعين وتجذبهم إلى طاعة ربّ العالمين ﴿ **فيهنّ خيرات حسان** ﴾ قرأ الجمهور ﴿ **خيرات** ﴾ بالتخفيف ، وقرأ قتادة وابن السميقع وأبو رجاء العطاردى وبكر بن حبيب السهمى وابن مقسم والنهدى بالتشديد ، فعلى القراءة الأولى هى جمع خيرة بزنة فعلة بسكون العين ، يقال : امرأة خيرة وأخرى شرّة ، أو جمع خيرة مخفف خيرة . وعلى القراءة الثانية جمع خيرة بالتشديد ، قال الواحدى : قال المفسرون : الخيرات : النساء خيرات الأخلاق حسان الوجوه ، قيل : وهذه الصفة عائدة إلى الجنان الأربع ، ولا وجه لهذا فإنه قد وصف نساء الجنتين الأوليين بأنهنّ قاصرات الطرف . ﴿ **كأنهنّ الياقوت والمرجان** ﴾ وبين الصفتين بون بعيد . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن شيئا منها كائنا ما كان لا يقبل التكذيب .

﴿ **حور مقصورات فى الخيام** ﴾ أى محبوسات ، ومنه القصر ، لأنه يحبس من فيه ، والحور: جمع حوراء وهى شديدة بياض العين شديدة سوادها . وقد تقدم بيان معنى الحوراء والخلاف فيه . وقيل : معنى ﴿**مقصورات**﴾: أنهنّ قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، وحكاه الواحدى عن المفسرين ، والأول أولى ، وبه قال أبو عبيدة ومقاتل وغيرهما ، قال فى الصحاح : قصرت الشىء أقصره قصرا حبسته ، والمعنى : أنهن خدّرن فى الخيام ، والخيام: جمع خيمة . وقيل : جمع خيم ، والخيم : جمع خيمة ، وهى أعواد تنصب وتظلل الثياب ، فتكون أبرد من الأخبية قيل : الخيمة من خيام الجنة درّة مجوّفة ، فرسخ فى فرسخ ، وارتفاع ﴿ **حور** ﴾ على البدلية من خيرات ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان**﴾ قد تقدّم تفسيره فى صفة الجنتين الأوليين ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإنها كلها نعم لا تكفر ومنن لا تجحد .

﴿ **متكئين على رفرف خضر** ﴾ انتصاب ﴿ **متكئين** ﴾ على الحال أو المدح كما سبق ، قال أبو عبيدة : الرفارف : البسط ، وبه قال الحسن ومقاتل والضحاك وغيرهم ، وقال ابن عيينة : هى الزرابى . وقال ابن كيسان: هى المرافق . وروى عن أبى عبيدة أنه قال : هى حاشية

الثوب ، وقال الليث : ضرب من الثياب الخضر ، وقيل : الفرش المرتفعة . وقيل: كل ثوب عريض . قال فى الصحاح : والرفرف : ثياب خضر يتخذ منها المحابس، والواحدة رفرفة . وقال الزجاج : قالوا الرَفرف هنا رياض الجنة ، وقالوا : الرّفرف: الوسائد ، وقالوا : الرفرف : المحابس. أ .هـ . ومن القائلين بأنها رياض الجنة سعيد بن جبير ، واشتقاق الرفّرف من رفّ يرَف إذا ارتفع ، ومنه رفرفة الطائر، وهى تحريك جناحيه فى الهواء .قرأ الجمهور: ﴿**رفرف**﴾ على الإفراد ، وقرأ عثمان بن عفان والحسن والجحدرى : « رفارف » على الجمع ﴿ **وعبقرى حسان** ﴾ العبقرىّ : الزرابى ، والطنافس الموشية . قال أبو عبيدة: كل وشى من البسط : عبقرىّ، وهو منسوب إلى أرض يعمل فيها الوشى . قال الفرّاء : العبقرى : الطنافس الثمان ، وقيل : الزرابى . وقيل : البسط . وقيل : الديباج ، قال ابن الأنبارى : الأصل فيه أن عبقر: قرية تسكنها الجن ينسب إليها كل فائق ، قال الخليل : العبقرىّ عند العرب ، كل جليل فاضل فاخر من الرجال والنساء ، ومنه قول زهير :

بَخَيْـلٍ عليهـا جِنَّـةٌ عَبْقَرِيَّـةٌ ... جَديرون يومًا أنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْلُوا

قال الجوهرىّ : العبقرَ موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن . قال لبيد :

كهول وشبان كجنة عبقرّ

ثم نسبوا إليه كل شىء تعجبوا من حذقه وجودة صنعته وقوته فقالوا : عبقرىّ ، وهو واحد وجمع ، قرأ الجمهور : ﴿ **عبقرىّ** ﴾ وقرأ عثمان بن عفان والحسن والجحدرى : «عباقرىّ » وقرئ : « عباقر » وهما نسبة إلى عباقر اسم بلد . وقال قطرب : ليس بمنسوب ، وهو مثل كرسىّ وكراسى وبختى وبخاتى . قرأ الجمهور : ﴿ **خضر** ﴾ بضم الخاء وسكون الضاد ، وقرئ بضمهما وهى لغة قليلة . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ فإن كل واحد منها أجلّ من أن يتطرقّ إليه التكذيب ، وأعظم من أن يجحده جاحد أو ينكره منكر ، وقد قدمنا فى أول هذه السورة وجه تكرير هذه الآية فلا نعيده . ﴿ **تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام** ﴾ تبارك : تفاعل من البركة . قال الرازى : وأصل التبارك من التبرّك ، وهو الدوام والثبات ، ومنه برك البعير ، وبركة الماء فإن الماء يكون دائما ، والمعنى : دام اسمه وثبت، أو دام الخير عنده ، لأن البركة وإن كانت من الثياب لكنها تستعمل فى الخير ، أو أن يكون معناه: علا وارتفع شأنه . وقيل : معناه : تنزيه الله سبحانه وتقديسه ، وإذا كان هذا التبارك منسوبا إلى اسمه عزّ وجلّ ، فما ظنك بذاته سبحانه ؟ وقيل : الاسم بمعنى الصفة. وقيل : هو مقحم كما فى قول الشاعر :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وقد تقدم تفسير ﴿ **ذى الجلال والإكرام** ﴾ فى هذه السورة . قرأ الجمهور : ﴿ **ذى الجلال** ﴾ على أنه صفة للرب سبحانه ، وقرأ ابن عامر « ذو الجلال » على أنه صفة لاسم .

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ قال : وعد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه فأدوا فرائضه الجنة . وأخرج ابن جرير عنه فى الآية يقول : خاف ثم اتقى ، والخائف : من ركب طاعة الله وترك معصيته . وأخرج ابن أبى حاتم ، وأبو الشيخ فى العظمة عن عطاء أنها نزلت فى أبى بكر . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن شوذب مثله . وأخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود فى الآية قال : لمن خافه فى الدنيا . وأخرج ابن أبى شيبة وأحمد وابن منيع والحكيم فى نوادر الأصول ، والنسائى [1] والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عن أبى الدرداء ؛ أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية : ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ فقلت : وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ الثانية : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ فقلت : وإن زنى وإن سرق؟ فقال الثالثة : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : « نعم وإن رغم أنف أبى الدّرداء»[2] . وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ فقال أبو الدرداء : وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ قال : « وإن زنى وإن سرق ، وإن رغم أنف أبى الدّرداء » . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن يسار مولى لآل معاوية عن أبى الدّرداء فى قوله : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ قال : قيل لأبى الدرداء : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق . وأخرج ابن مردويه عن ابن شهاب قال : كنت عند هشام بن عبد الملك فقال : قال أبوهريرة : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ قال أبو هريرة ، وإن زنى وإن سرق ؟ فقلت: إنما كان ذلك قبل أن تنزل الفرائض ، فلما نزلت الفرائض ذهب هذا » . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى موسى الأشعرى ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « جنان الفردوس أربع جنات : جنتان من ذهب حليتهما وأبنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة حليتهما وأبنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » [3] .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى موسى عن النبىّ ﷺ فى قوله :

---

(١) فى المخطوطة « والحاكم والترمذى والنسائى » والصحيح ما أثبتناه من الدر المنثور ٦ / ١٤٦ كما لم يذكر المزى (١٠٩٥٤) راويا للحديث إلا النسائى .

(٢) أحمد ٢ / ٣٥٧ والنسائى فى التفسير (٥٨٠) وابن جرير ٢٧ / ٨٥ وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ١٢١ : « رواه أحمد والطبرانى ورجال أحمد رجال الصحيح » وأورده ابن حجر فى المطالب العالية ٣ / ٣٨٢ وقال البوصيرى : « رواة ثقات » .

(٣) البخارى فى التفسير (٤٨٧٨) وفى التوحيد (٧٤٤٤) ومسلم فى الإيمان (١٨٠ / ٢٩٦) والترمذى فى صفة الجنة (٢٥٢٨) وابن ماجة فى المقدمة (١٨٦) .

﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ وفى قوله : ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ قال : « جنتان من ذهب للمقربين ، وجنتان من وَرِق لأصحاب اليمين » (١) . وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى البعث عن أبى موسى فى قوله : ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ قال : جنتان من ذهب للسابقين ، وجنتان من فضة للتابعين .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ ذواتا أفنان ﴾ قال: ذواتا ألوان . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه قال : فنّ غصونها يمس بعضها بعضا . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه أيضا قال : الفنّ الغصن ، وأخرج الفريابى وعبد بن حميد، وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ، وابن جرير وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى البعث عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ متكئين على فرش بطائنها من إستبرق ﴾ قال : أخبرتم بالبطائن ، فكيف بالظهائر . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس ؛ أنه قيل له : بطائنها من إستبرق ، فما الظواهر ؟ قال : ذلك مما قال الله: ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ [السجدة : ١٧]. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى البعث عنه فى قوله : ﴿ وجنى الجنتين دان﴾ قال : جناها ثمرها ، والدانى : القريب منك يناله القائم والقاعد .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى البعث عنه أيضا فى قوله : ﴿فيهنّ قاصرات الطرف ﴾ يقول : عن غير أزواجهنّ ﴿ لم يطمثهنّ ﴾ يقول : لم يدن منهنّ أو لم يدمهنّ . وأخرج أحمد وابن حبان ، والحاكم وصححه ، والبيهقى فى البعث عن أبى سعيد الخدرىّ عن النبى ﷺ : فى قوله : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ قال : «تنظر إلى وجهها فى خدرها أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب ، وأنه يكون عليها سبعون ثوبا وينفذها بصره حتى يرى مخّ ساقها من وراء ذلك » (٢) . وأخرج ابن أبى شيبة وهناد بن السرىّ والترمذى ، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة ، وابن جرير وابن أبى حاتم وابن حبان، وأبو الشيخ فى العظمة ، وابن مردويه عن ابن مسعود عن النبىّ ﷺ قال : « إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها ، وذلك أن الله يقول : ﴿ كأنهّن الياقوت والمرجان ﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه» (٣) وقد رواه الترمذى موقوفا وقال هو أصحّ .

وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب ، وضعفه عن ابن عمر قال :

---

(١) ابن جرير ٢٧ / ٨٥ .

(٢) أحمد ٣ / ٧٥ وابن حبان (٧٣٥٤) وصححه الحاكم ٢ / ٤٧٥ ، وقال الذهبى : «قلت دراج صاحب عجائب » .

(٣) الترمذى فى صفة الجنة (٢٥٣٣) وابن جرير ٢٧ / ٨٨ وابن حبان (٧٣٥٣) .

قال رسول الله ﷺ فى قوله : ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ قال : « ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة » (١) . وأخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ، والبغوىّ فى تفسيره ، والديلمى فى مسند الفردوس ، وابن النجار فى تاريخه عن أنس مرفوعا مثله (٢) . وأخرج ابن مردويه عن جابر مرفوعا فى الآية قال : « هل جزاء من أنعمنا عليه بالإسلام إلا أن أدخله الجنة » . وأخرج ابن النجار فى تاريخه عن علىّ بن أبى طالب مرفوعا مثل حديث ابن عمر . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ قال : هل جزاء من قال : لا إله إلا الله فى الدنيا إلا الجنة فى الآخرة . وأخرج ابن عدىّ وأبو الشيخ وابن مردويه والديلمى ، والبيهقى فى الشعب وضعفه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «أنزل الله علىّ هذه الآية فى سورة الرحمن للكافر والمسلم : ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ (٣) . وأخرجه ابن مردويه موقوفا على ابن عباس .

وأخرج هناد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿**مدهامتان** ﴾ قال : هما خضراوان . وأخرج ابن أبى حاتم عنه فى الآية قال : قد اسودّتا من الخضرة من الرّىّ من الماء . وأخرج الفريابى وابن أبى شيبة وهناد وعبد بن حميد وابن جرير عن ابن عبد الله بن الزبير نحوه . وأخرج الطبرانى وابن مردويه عن أبى أيوب الأنصارى قال : سألت النبىّ ﷺ عن قوله : ﴿ **مدهامتان** ﴾ قال : « خضراوان » (٤) . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس ﴿ **نضاختان** ﴾ قال : فائضتان . وأخرج عبد بن حميد عنه قال : ينضخان بالماء .

وأخرج ابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ **خيرات حسان** ﴾ قال : لكل مسلم خيرة ، ولكل خيرة خيمة ، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها من الله كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك ، لامراحات ولا طماحات ولا بخرات ولا دفرات ، حور عين كأنهن بيض مكنون . وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عنه مرفوعا . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **حور** ﴾ قال : بيض ﴿ **مقصورات** ﴾ قال :

---

(١) البيهقى فى الشعب (٤٢٥) قال البيهقى : « تفرد به إبراهيم بن محمد الكوفى وهو منكر » .

(٢) البغوى فى التفسير ٤ / ٢٧٦ .

(٣) ابن عدى ٧ / ١٠٤ والبيهقى فى الشعب (١٩٥٤) قال النسائى فى السند : « الهيثم بن عدى الكوفى وهو متروك الحديث» ، وقال أبو داود: « كذاب » وقال الإمام احمد : « كان صاحب أخبار وتدليس » ، وقال البخارى : « ليس بثقة وكان يكذب » لسان الميزان ٦ / ٢٥٢ .

(٤) الطبرانى (٤٠٧٤) وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ١٢١: «رواه الطبرانى وفيه واصل بن السائب وهو متروك».

محبوسات ﴿ فى الخيام ﴾ قال : فى بيوت اللؤلؤ . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم قال : الحور : سود الحدق . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن مسعود عن النبىّ ﷺ قال : « الخيام درّ مجوف » (١) . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى موسى الأشعرى عن النبىّ ﷺ : « الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا ، فى كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن » (٢) . وأخرج الفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ متكئين على رفرف ﴾ قال : فضول المحابس والفرش والبسط . وأخرج عبد بن حميد عن علىّ بن أبى طالب قال : هى فضول المحابس . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر ، والبيهقى فى البعث من طرق عن ابن عباس : ﴿ رفرف خضر ﴾ قال : المحابس ﴿ وعبقرىّ حسان ﴾ قال : الزرابى . وأخرج عبد ابن حميد عنه فى الآية قال : الرّفرف : الرياض ، والعبقرىّ : الزرابى .

---

(١) ابن جرير ٢٧ / ٩٤ .

(٢) البخارى فى التفسير (٤٨٧٩) ومسلم فى الجنة وصفة نعيمها (٢٨٣٨ / ٢٣) .